



جعفر بشوري ودوره السياسي في إيران حتى عام ١٩٤٦

د. هند علي حسن
الجامعة المستنصرية كلية التربية

د. وداد جابر غازي
الجامعة المستنصرية كلية التربية الاساسية



Jafar Bashuri and the political cycle in Iran until 1946

*Dr. Hind Ali Hassan
Al-Mustansiriya University
Dr. Widad Jaber Ghazi
Al-Mustansiriya University*



ملخص البحث

كانت الحركات القومية التي ظهرت في إيران خلال السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية وبعدها نتاجًا طبيعيًا لما شهدته البلاد من تطورات وتغيرات سياسية في الساحة الإيرانية ، خاصة بعد سقوط رضا شاه عن العرش وظهوره. ابنه محمد رضا شاه وتولى السلطة في إيران بمساعدة الدول الكبرى التي انتصرت في الحرب الكونية. لم تنحصر المعارضة الإيرانية في اتجاه واحد أو تيار سياسي ، بل كانت تمثل تيارات متعددة موزعة على مناطق إيران بأكملها. كانت اقتراحاتها لوقف التسلل الأجنبي في شؤون البلاد ، وضرورة الدفاع عن سيادة إيران ، واعتماد برنامج للإصلاح الداخلي. ومن بين هذه الحركات الوطنية الحركة الأذربيجانية بزعامة جعفر باشوري الراعي ، والتي لم تستطع تحقيق النصر للمطالبات بما كانت تطالب به. شخصية جعفر بشوري المولود في تبريز هو الذي عتبر عن مبادئه في إقامة نظام فيدرالي في إيران ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الأذربيجانيين كانوا أكثر الجنسيات التي عانت من الظلم والقسوة من قبل السياسيين التعسفيين ، نفذها رضا شاه بهلوي. ولهذا انتفض جعفر بشوري حرة معبرا عن قوميته دفاعا عن حقوق الشعب الأذربيجاني ، خاصة أنه يمتلك أكبر مورد اقتصادي في إيران وهو (النفط). على الرغم من أنه اعتمد على الدعم السوفياتي ، إلا أنه لم يعتقد أن الدول القوية تفضل مصالحها على الشعوب الضعيفة. لذلك سقطت حكومة جعفر بشوري بالتعاون مع الاتحاد السوفيتي والحكومة الإيرانية بقيادة قوة السلطنة. وهكذا انتهت مسيرة جعفر بيشا راي النضالية بإقامة حكم فيدرالي لمنطقة أذربيجان.

Abstract

The nationalist movements that appeared in Iran during the years before and after World War II were a natural product of what the country witnessed in terms of political developments and changes in Iranian tourism, especially after the fall of Redha Shah from the throne and the advent of his son Muhammad Redha Shah and took power in Iran with the help of the major countries which has won the victory in cosmic war.

The Iranian opposition was not confined to one direction or political current, but rather represented multiple currents distributed over the entire regions of Iran. Its propositions were to stop foreign infiltration in the country's affairs, the need to defend Iran's sovereignty, and to adopt a program for internal reform. Among these national movements is the Azerbaijani movement led by JaafarBashouriRai, which could not achieve victory for the claims for what it was calling for. The character of Jaafar Bashuri, who was born in Tabriz, is the one who expressed its principles for establishing a federal system in Iran, with taking into consideration that the Azerbaijanis were the most nationalities that were suffering from injustice and cruelty by the arbitrary political, carried out by Redha Shah Pahlavi. This is why Jaafar Bashuri Hora rose up, expressing his nationalism in defense of the rights of the Azerbaijani people, especially as it possesses the largest economic resource in Iran, which is (oil). Although he relied on Soviet support, he did not think that the powerful countries preferred their interests to the weak peoples. Therefore, the government of Jaafar Bashuri fell in cooperation with the Soviet Union and the Iranian government led by the strength of the Sultanate. Thus, the struggle march of JaafarBishaRay ended in establishing a federal rule for the region of Azerbaijan.

المقدمة

أعطت الظروف التي تمخضت عن الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥ زخماً ملموساً للتحرك السياسي للقوميات غير الفارسية، ولاسيما بعد زوال حكم رضا شاه الذي عانت تلك الشعوب الأمرين من سياسته الاستبدادية المتعصبة، وتحول الاحتلال الأجنبي إلى عامل مساعد لذلك التحرك الذي تأثر تأثيراً مباشراً بتفاقم مشكلات البلاد الاقتصادية، التي عانت منها كل أنحاء إيران دون استثناء، لا سيما تضاول قيمة العملة الوطنية. خلقت الإطاحة برضا شاه ودخول القوات السوفيتية إلى الأراضي الأذربيجانية، ظروفًا مواتية لانتعاش التحرك السياسي الأذربيجاني، بعد الركود الكبير الذي انتابه على مدى أكثر من عقد سبق ذلك التاريخ، فقد أدى إطلاق سراح السجناء السياسيين بمختلف اتجاهاتهم وانتمائهم، والسماح للمنفيين منهم بالعودة إلى ظهور العناصر الأذربيجانية النشطة والواعية فوق المسرح مرة أخرى، التي التف حولها قطاع واسع من الأذربيجانيين، بسبب تدمرهم من سياسية اضطهدت القومية، ونتيجة لواقعهم الاقتصادي المتردي، لذلك ظهرت شخصية جعفر بشوري وهي من الشخصيات الأذرية التي كان لها الدور الرئيس في تصعيد الحركة القومية الأذربيجانية في إيران من أجل المحافظة على المكتسبات الديمقراطية، التي حققها أبناء أذربيجان عن طريق إقامة حكم ذاتي وزيادة التمثيل الأذربيجاني في المجلس الوطني الأذربيجاني، والاعتراف باللغة الأذرية، وإصلاح الإدارة الحكومية بالصورة التي تنسجم والتطلعات القومية لسكان أذربيجان.

أولاً: الأوضاع التي مرت بها إيران بعد الحرب العالمية الثانية.

بالرغم من إن محمد رضا شاه بهلوي بدأ حكمه (١٩٤١-١٩٧٩) فاسحاً المجال إمام القوى السياسية للتعبير عن تطلعاتها، واعتقد الكثيرون إن ذلك سينعكس إيجابياً على مجلس الشورى الإيراني، لأن القوى والأحزاب السياسية حينما تجد لها متنفساً في الشارع فإنها حتماً سيوصل أعضاؤه بمستوى المسؤولية إلى الواجهة والمؤسسة الدستورية، إلا إن ذلك لم يتحقق على صعيد الواقع العملي، لأن الشاه الجديد الذي لم يكن يمتلك الحدة والسياسية وجاء تحت حراب الحلفاء وبأمرهم خلفاً لوالده رضا شاه (١٩٢٧-١٩٤١)، كان محكوماً بموازانات قلقة، وبذلك نجده سرعان ما يعود إلى سياسة والده بعد زوال المسببات التي جعلته يفسح المجال للحرية النسبية، ويحكم بدكتاتورية أكثر، ويقوم بحملة مطاردات للقوى السياسية، لا سيما اليسارية منها، فانعكس ذلك سلبياً على إيران الذي لم يعد يسمع صوت معارض للنظام البهلوي الذي أضعفته كثيراً الحركات القومية وغير الفارسية، مثل الحركة القومية في أذربيجان عام ١٩٤٦، لتأتي المرحلة التي أعقبت ذلك وهي حبلية بالمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والتي عصفت في ما بعد بالنظام البهلوي ليقوم على اعتباره حكم جديد^(١).

لقد أدى الاحتلال الأجنبي وتردي الوضع الاقتصادي في سنوات الحرب العالمية الثانية ، إلى خلق مشكلة أخرى للشاه وهي مشكلة القوميات غير الفارسية، التي عانت طويلا من ظلم رضا شاه، ووجدت في تنازله ، انبعاث الحياة الديمقراطية، وفرصة للمطالبة بحقوقها المشروعة، وعلى رأس هذه القوميات (الأذربيجانيين)، فان الاحتلال السوفيتي لشمال إيران لقي ترحيباً كبيراً من أهالي أذربيجان لتخليصهم من دكتاتورية رضا بهلوي، حتى إن بعض العائلات استقبلت هذا الاحتلال بالورود والهناءات^(٢).

ثانياً: الموقع الاستراتيجي لأذربيجان.

كانت أذربيجان الإيرانية بالنسبة لستالين في عام ١٩٤٦، خوخه ناضجة يجب اختطافها، وبدء ابتلاعها، وخصوصاً إن اللغة التي كان يتكلم بها القسم الأعظم من سكان أذربيجان الإيرانية وأذربيجان السوفيتية متماثلة، فان صانعي السياسة السوفيتية، ربما استنتجوا من ذلك وجود رغبة للاتحاد بين هاتين القوميتين، في حين كان موقف أذربيجان من هذه التوقعات ، بأنها جزءاً هاماً لا يتجزأ من إيران ، فمن الناحية الاقتصادية إن أذربيجان مصدر كثير من الحبوب التي تحتاج إليها مدن إيران كافة، إذ تسمى (سلة الخبز الإيرانية)، وتتساقط عليها أمطار في فصل الشتاء تكفي لإنتاج محاصيل قمح شتوية وربيعية بطريقة الزراعة الجافة، ومن الناحية الاستراتيجية، تحتل أذربيجان القمة الشمالية الغربية من مثلث الدفاع الإيراني، وتقف حاجزاً منيعاً أمام أعداء إيران التقليديين هما الأتراك والروس، وفي الحقيقة إن أذربيجان يفضل فائضها الزراعي وصناعاتها الداخلية ، وأكثر من ذلك أهميتها في كونها الباب الذي يؤدي إلى روسيا وتركيا، ومنها إلى الدول الغربية، فإنها أصبحت مركزاً تجارياً على جانب عظيم من الأهمية، لقد ظهرت فيها حركة تجارية جيدة^(٣).

ثالثاً: التاريخ النضالي لأذربيجان.

كانت تبريز أقوى المدن الإيرانية التي انضمت إلى انتفاضة مقاطعة التبغ ومنع المتاجرة به ، استجابة إلى علماء الدين في إيران في عهد الناصر الدين شاه(١٨٣١ – ١٨٩٦)، ونتيجة لتردي الأوضاع الاقتصادية بسبب البذخ للعائلة المالكة وعمليات الاستدانة من الدول، مما جعل خزينة الدولة فارغة ،لهذا هب الشعب الإيراني وعلى رأسهم علماء الدين لإسقاط الحكومة ، وقادت تظاهرات طافت شوارع إيران، تطالب بإلغاء الاتفاقيات مع الدول الأجنبية ومن ضمنها اتفاقية المتاجرة بالتبغ مع شركة بريطانية في عام ١٨٩٠ فلبت تبريز الدعوة ، وقادت الطريق للحملة عام ١٩٠٠ لطرده وكلاء الكمارك البلجيكين، وعندما نجحت الثورة الدستورية ١٩٠٦ وأجريت الانتخابات لتكوين المجلس الأول، شكل الأثني عشر نائبا تبريزيا نواة للمجموعة الوطنية الأذربيجانية في المجلس الإيراني. لقد كانت جمعية (انجومان) في تبريز أنشط العناصر في أذربيجان

وأكثرهم صلابة في إخلاصهم الوطني، واستطاعت إن تنشأ بنك وطني يوازي بنك طهران، إن أذربيجان عانت أعواما عديدة تحت قسوة حكام القاجاريين ومنهم محمد علي شاه (١٨٧٢-١٩٢٥) الذي استلم الحكم، وحينما حاول الرجعيين من السياسيين المنضويين تحت الحكم القاجاري التغلب على الأقلية الوطنية في البرلمان، انبرى الوفد التبريزي بقيادة حسن تقي زادة كان سياسي و دبلوماسي من أصل أنري، وطلب مساندة جمهور طهران المؤيدة للدستور الواقف خارج أبواب البرلمان، وحيثما كان يبدو إن الشاه يريد إعداد قوة عسكرية لقلب الحكومة، كانت جمعية تبريز تتبرع بإرسال فرقة خاصة بها لتصدى الخطر، لقد كانت مثل تلك الفرقة، وان كانت هذه صغيرة فهي التي ساعدت على قهر جهود جديّة بذلها محمد علي شاه لاستبدال الحكومة بالقوة، ولما افلح محمد علي شاه في النهاية في طرد الحكومة الوطنية وإغلاق البرلمان، أصبحت العناصر الوطنية في حالة قنوط، وان تحررهم من الوهم هدد الحركة الدستورية برمتها، والقليلون منهم ترفعوا عن تقديم مساعدات حقيقية من الإقليم، وان الحركة ماتت في الإقليم بسهولة^(٤).

لم ترحب إيران بثورة أكتوبر ١٩١٧^(٥)، ترحيبا حماسيا، مثل ما رحب بها أهالي أذربيجان، ولقد كان مؤيدو الألمان والأتراك والمتعاطفون معهم في عام ١٩١٤ من القوة حتى إن وجود القوات الروسية وعميلها والي أذربيجان شجاع الدولة، والذي عمل على تعزيز نفوذهم في الإقليم وعرقل جمع الضرائب لصالح الخزينة المركزية، ومنع اشتراك أذربيجان في انتخابات المجلس الإيراني الجديد التي بدأت في آذار ١٩١٤، والذي تحولت أذربيجان الى محمية روسية، وعمل على تنظيم مظاهرات مؤيدة لدول المحور، ومع إن القوات العثمانية احتلت تبريز خلال الحرب، فان سلوكهم قضى على كل المشاعر المؤيدة للجيش العثماني في تبريز، وفي عام ١٩١٧ انسحبت القوات الأجنبية، وظهرت آمال سكان أذربيجان بانسحاب الجيوش الروسية من إيران^(٦)، وفي كانون الأول من عام ١٩١٧، أرسلت مجموعة من أبناء تبريز برقية إلى طهران، تطالب بإزاحة محافظها الذي عينه الروس وإجراء انتخابات جديدة للبرلمان، ولم يكن احد يتوقع مجيء جواب ايجابي من حكومة طهران الضعيفة، وبالفعل لم يرد جواب منها، إن رحيل القوات الأجنبية خلف فراغا سياسيا في أذربيجان، عجزت حكومة طهران حتى عن محاولة ملئه، ولعدم وجود توجيهات من طهران، تولى الشيخ محمود خياباني^(٨) القيادة في تبريز، وكان خياباني عضوا في مجموعة الأقلية من الوطنيين في البرلمان واعتبر مؤمنا بالديمقراطية وكان إيرانيا، ورجلا وطنيا متقفا يحب تاريخ إيران وتقاليدها^(٩).

شهدت تبريز موجة من الاحتجاج على عقد معاهدة ١٩١٩^(١٠)، وقامت انتفاضة في أذربيجان قادها الشيخ محمد خياباني، وكان يسعى إلى إيصال بلاده إلى مستوى الدول

المتطورة، فمارس نشاطا واسعا ضد النظام القاجاري والوجود الأجنبي، وأكد بعد إن شاهد حالة الفقر والبؤس التي يعيشها أبناء شعبه، اصدر جريدة (تجدد) وأسس ما يعرف (الجماعة الديمقراطية) ، والتي كونت لها فروع في معظم المدن والقرى الأذربيجانية، وتحولت هذه الجماعة إلى حزب عرف (الحزب الوطني الديمقراطي الأذربيجاني)، وسعى الحزب إلى توسيع نشاطه، وتكوين عدد من الخلايا السرية في مدن أذربيجان، وأسس جمعية خيرية (جمعية خيريت) ، ساهمت في شرح أفكار وأهداف الحزب، كما جمعت التبرعات من كبار الملاكين والتجار، إما انفجار انتفاضة تبريز بشكل علني كان في آذار ١٩٢٠، بعد القي الشيخ محمد خياباني خطبة إمام جماهير تبريز، مبينا أهداف الانتفاضة، لأجل تحرير إيران من سطوة عملاء الانكليز وإقامة حكومة وطنية في إيران بقوله: "إن هدفنا هو عظمة إيران، ولكي تكون أذربيجان جزءا لا ينفصل عن إيران"^(١١). وبعد فشل الانتفاضة وقتل قائدها محمد خياباني في اليوم الرابع عشر من ايلول ١٩٢٠، هكذا كانت نهاية احد الرموز الوطنية المدافعة عن قضية بلادها ، وبمقتل الشيخ محمد خياباني، أصابت الحركة الوطنية الأذرية بنكسة كبيرة بفقدان رمزها الثائر، الذي كان تطلعاته الوطنية للتخلص من هيمنة النفوذ الأجنبي في إيران بشكل عام ، ومن كلام الشيخ محمد خياباني الذي ما زال حاضرا إلى يومنا حين قال: "إن قيمة الحياة عيش الإنسان في عز وكرامة ولا فالموت أفضل نعمة، لمن يريد العيش في ذل الخيانة والمتاجرة بوطنه"^(١٢).

وضمن إطار سياسة رضا شاه(١٩٢٥-١٩٤١) الشوفينية الرامية إلى تذيب القوميات غير الفارسية في بوتقة واحد، وإجبارها على التحلي عن تقاليد عاداتها القومية، حاول رضا شاه إلغاء وجودها القومي، مستخدما أساليب عدة، كان من بينها تهجير أبناء القوميات غير الفارسية من مناطق سكانهم الأصلية إلى أماكن أخرى بعيدة عنها، وإغلاق مدارسهم الخاصة ومنعهم من ارتداء أزيائهم القومية ، وتغيير العديد من أسماء مناطقهم وفرض اللغة الفارسية قسرا ، وما إلى ذلك من إجراءات صبت بمجملها من مجرى سياسته العنصرية، فقد هجر رضا شاه عوائل كاملة من أذربيجان وحلت محلها عوائل فارسية قدمت لها الحكومة مختلف وسائل الإغراء لتشجيعها على السكن في هذه المناطق ، وحرّم الأذربيجانيين من ممارسة حقهم في انتخابات البرلمان الإيراني، فلم يكن لهم تمثيل في البرلمان، وكان حكام الإقليم من الفرس، وعانى الأذربيجانيون فضلا عن هذه الإجراءات التعسفية من ثقل الضرائب المفروضة عليهم، وكانت عملية جمع الضرائب تم بصورة غير عادلة، وبطرق لا تخلو من الضغط والشدة، مما ولد استياء واسعا بين صفوفهم^(١٣).

رابعاً: ظهور وبروز شخصية جعفر بشوري في الساحة الأذربيجانية .

١. حياته:

هو جواد زاده خلخالي، ولد عام ١٨٩٢ في قرية تابعة لولاية خلخال، هاجر مع عائلته عام ١٩٠٥ إلى باكو، ودخل بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ معترك الحياة السياسية، فانضم في عام ١٩١٩ إلى منظمة (العدالة الشيوعية) التي تأسست في نهاية ١٩١٩، وشكل فروعاً لهذا المنظمة في إيران أصبح رئيساً للصحيفة الناطقة باسم المنظمة، والتي تعرف بالحقوق، بدأ يحرر مقالات في الصحف والمجلات مثل الرفيق والخبار والشيوعي والقروي، وكان عضواً في اللجنة التنفيذية لجمهورية كيلان (١٩٢٠-١٩٢١) والمعروفة على نطاق واسع باسم جمهورية كيلان السوفيتية وهي لم تدم طويلاً في مقاطعة كيلان الإيرانية وقد دامت من حزيران ١٩٢٠ حتى أيلول ١٩٢١، تأسست الجمهورية على يد زعيم الحركة الدستورية بغيلان ميرزا كوجاك خان وحزبه حركة الغاية، واصر في طهران أول جريدة شيوعية باسم (حقيقت) وبالعربية الحقيقة أودع في السجن عام ١٩٣٠، وتم إطلاق سراحه وهاجر إلى الاتحاد السوفيتي، و ثم عاد إلى إيران عام ١٩٣٦، وبعد عودته القي القبض عليه وأطلق سراحه بعد سقوط رضا شاه عام ١٩٤١^(١٤).

٢. عضواً في حزب توده (حزب الشيوعي الإيراني).

يعد الحزب الشيوعي الإيراني الذي تأسس في عام ١٩٢٠ واحداً من أقدم الأحزاب الشيوعية في العالم، ومارس هذا الحزب منذ نشأته نشاطاً ملحوظاً في الحياة السياسية الإيرانية، لكنه تعرض لانتكاسة كبرى بسبب الضربات القوية، التي وجهها إليه رضا شاه بهلوي بعد تسلمه العرش مباشرة، مستغلاً إحدى مواد دستور (١٩٠٦-١٩٠٧)، التي حظرت بوضوح أي نشاط أو دعاية ملحدة أو مادية، وقد استمر الشاه في موقفة هذا من الحزب الشيوعي الإيراني طول مدة حكمه، ففي سنتي ١٩٣٠-١٩٣٨ مثلاً اعتقلت سلطات رضا شاه بهلوي معظم كوادره وقادة الحزب الشيوعي الإيراني وادين على إثرها (٥٣) عضواً منهم جعفر بشوري وتم إيداعهم في السجن، ولم يطلق سراحهم إلا بعد سقوط رضا شاه بهلوي^(١٥).

الف هؤلاء الشيوعيين المنفيين الذين سمح لهم بالعودة من الخارج الى جانب مجموعة من المثقفين من الأساتذة والمحامين أساساً او الكادر للحزب الجديد (حزب توده) في الثاني من تشرين الثاني عام ١٩٤١، وقد أسندت رئاسة الحزب مؤقتاً الى سليمان ميرزا، الذي توفي بعد مرض عضال عام ١٩٤٢، وعلى أثره تبنى الحزب فكرة الزعامة

الجماعية، وانتخب ايرج ميرزا اسكندري لقيادة الحزب وهو من المؤسسين، إضافة الى الدكتور محمد بهرامي ومرضى يزدي والدكتور رضا راد ميش وجعفر بشوري ومكى زاده وغيرهم^(١٦).

حدد المؤسسين أهدافهم وهي: إطلاق سراح بقية رفاقهم من أعضاء مجموعة (٥٣) ، والاعتراف بحزب توده تنظيمًا شرعيًا، وإصدار صحيفة تنطق باسم الحزب، والعمل على وضع منهاج يمكن الحزب من التأثير في الجماعات الديمقراطية والاشتراكية والعناصر الماركسية، وفي الوقت نفسه لا يثير عداة الآخرين، وبذلك أسهمت الظروف في خدمة حزب توده ، إذا اقر البرلمان الإيراني عام ١٩٤٣، إطلاق سراح بقية مجموعة (٥٣) فأصبح الطريق مهما لان يعقد الحزب أول مؤتمر سرى له في طهران عام ١٩٤٣، واتخذ عدة قرارات منها إقامة منظمات للنساء والشباب وإصدار صحيفة مركزية باسم (رهبر) تعني القائد، وإنشاء فروع للحزب من أنحاء البلاد، والمشاركة في الانتخابات البرلمانية في عام ١٩٤٤^(١٧).

اما بالنسبة للانتخابات البرلمانية الإيرانية في عام ١٩٤٤، فقد كانت انتخابات مثيرة للسخرية والجدل، فكان أعضاؤه يختارون وفقا للمصالح الشخصية ، وكان بإمكان المرشح ان يشترى ما يشاء من الأصوات بكل سهولة، فضلا عن تدخل قوات الاحتلال الأجنبي بشكل سافر في العملية الانتخابية، فكانت تقدم قوائم بأسماء مرشحين موالين لها وتطلب ان يفوز هؤلاء بالانتخابات، لذلك كان نادرا ما يأتي مرشح يمثل الشعب، وحتى لو كان مثل هذا المرشح فان ترشيحه يقابل بالرفض من قبل الحلفاء والشاه، ويتمهم بالتزوير والاحتيال، كما هو الحال في تبريز التي رفض فيها المرشح جعفر بشوري ، بحجة انه ليس من مواليد طهران، رغم حصوله على الأغلبية^(١٨).

خامسا: جعفر بشوري قائدا للحركة القومية في أذربيجان.

دخل النضال التحرري الأذربيجاني مرحلة جديدة من مراحل التطور في سنوات الحرب العالمية الثانية ، لاسيما بعد تسلم محمد رضا شاه العرش البهلوي في ٢٦ أيلول عام ١٩٤١، واحتلال السوفييت المنطقة الشمالية في إيران، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت أذربيجان في قبضة القوات السوفيتية، التي جعلت المنطقة مستقلة عمليا عن الحكومة المركزية في طهران^(١٩)، وأثر ذلك عاشت أذربيجان مخاضا ثوريا مهما تزامن مع إطلاق سراح السجناء السياسيين بمختلف اتجاهاتهم وانتماءاتهم، وظهر عدد من القيادات الواعية الأذربيجانية، التي النف حولها قطاع واسع من أبناء المنطقة بسبب تدمرهم من سياسة حكومة طهران القومية العنصرية^(٢٠).

اتسمت معظم الجمعيات التي ظهرت في أذربيجان مثل (فرقة قوم ونسيت) او الجمعية الشيوعية، (وفرقة سو سيال ده موقرات) اي (الجمعية الاشتراكية الديمقراطية) في

مقدمة التنظيمات التي ظهرت في أذربيجان الإيرانية بعد الإطاحة برضا شاه بمدة وجيزة، لكنهما اختلفتا بسرعة لتحل محلها (فرقة أذربيجان) وجمعية أذربيجان، والتف أعداد كبيرة من الأذربيجانيين حول فرقة أذربيجان او (جمعية أذربيجان) وأصدرت الجمعية من أجل نشر أفكارها بين صفوف الأذربيجانيين، صحيفة نصف أسبوعية عرفت باسم (أذربيجان)، التي كانت تصدر باللغة الأذرية فيما عدا صفحاتها الأولى التي تصدر باللغة الفارسية^(٢١). شهدت مدينة تبريز في أواخر عام ١٩٤٤، سلسلة من التظاهرات والاجتماعات التي شجبت سياسية الحكومة، وفي الاجتماعات المستمرة التي عقدها الأذربيجانيون ابتداء من مطلع سنة ١٩٤٥ حددوا مطالبهم بمنح الحريات الديمقراطية والسماح بإقامة (الانجمنات) في ضوء ما يقره الدستور الإيراني، وإبعاد العناصر ذات الميول الفاشية عن أجهزة الدولة، تلك المطالب التي حظيت بتأييد معظم أهالي المناطق الإيرانية الأخرى^(٢٢).

أولت (جمعية أذربيجان) الشخصية الأذربيجانية القومية جانبا كبيرا من اهتمامها، وأعارت التراث القومي الأذربيجاني جل اهتمامها، ويتضح ذلك جليا، عند قامت حفلا لإحياء ذكر ابرز شخصيتين أسهمتا بدور مهم في الثورة الدستورية الإيرانية وهما ستار خان^(٢٣) وبقاقر خان^(٢٤)، اللذان يعدان في أذربيجان بطليين قوميين ضحيا بنفسيهما من أجل قضية الوطن الأذربيجاني المشروعة.

وجد الأذربيجان بعد سنوات النضال الطويلة، ضرورة ايجاد تنظيم سياسي يمثل مختلف الشرائح الاجتماعية في أذربيجان لذلك جرى الاتفاق بين جعفر ببشوري النائب الأذري الذي طعن في صحة نيابته، وبين الدكتور سلام الله جاويد وهومن الذين انضموا الى حزب العدالة والذي اهتم بدراسة تاريخ أذربيجان وجعفر كاويان وهو من الشخصيات السياسية في أذربيجان على تأليف منظمة تكون واجهة للنضال الأذري فتأسس في آب عام ١٩٤٥ (فرقة دي مقرات أذربيجان) اي الحزب الديمقراطي الأذربيجاني، وعقد اول مؤتمر له في تبريز في الثاني من تشرين الاول من العام نفسه حضره (٢٣٥) مندوبا، ناقشوا على مدى أربعة أيام برنامجه ونظامه الداخلي، وانتخبوا لجنته المركزية، وان يكون جعفر بشوري رئيسا لها بالإجماع، وخطا الأذربيجانيين خطوة مهمة على طريق تأسيس الحكم الذاتي لإقليمهم، عندما أسسوا في العشرين من تشرين الثاني ١٩٤٥ مجلسا شعبيا بحضور (٧٤٥) مندوبا، كانوا يمثلون الفئات الاجتماعية في كل أذربيجان، واتخذ المجلس لنفسه شعار الحكم الذاتي، وانتخب لجنة خاصة مؤلفة من (٣٩) عضوا لإدارة أذربيجان، وتم تخويله في حق مفاوضة السلطات المركزية لحل المشكلة الأذربيجانية حلا سلميا، أدى قيام هذا المجلس الشعبي الأذربيجاني في تبريز الى تأثر المناطق الأذربيجانية الأخرى بما قام أبناء تبريز لاسيما أذربيجان الجنوبية، فدعا أبناءها الى

الالتحاق بأذربيجان الشمالية والانضمام إليها لتأسيس الكيان الأذربيجاني الموحد، وعزت بعض المصادر الدبلوماسية العراقية في إيران في ذلك الوقت تحركات أبناء أذربيجان الجنوبية واحتلال كتائب الملبس الأذربيجانية^(٢٥) مدينتي (ميانه) و(مراغة) واستيلائهم على دور الحكومة ومبانيها وإعدامهم (١٤) شخصا من الموظفين في هاتين المدينتين بضمنهم متصرف ميانه وقائمقام مراغة^(٢٦).

عزت طهران ذلك الى السلطات السوفيتية لعدم سماحها للفرقة الإيرانية الثالثة المرابطة في تبريز بالزحف جنوبا الى مراغة وميانه لإعادة الموقف الى طبيعته، فأصبحت بسبب ذلك مدينتنا مراغة وميانه بيد القوات الأذربيجانية، أدى وقوف السلطات السوفيتية الى جانب أبناء أذربيجان الجنوبية ومقاتليها المسلحين الى ان تتوسع الحركة المعارضة للحكومة المركزية في طهران، فامتدت الى مياندواب، في الوقت الذي منعت السلطات السوفيتية من دخول قطعات الفرقة الثالثة الإيرانية الى مناطق نفوذها، الأمر الذي اضطرت القيادة الإيرانية لاستقدام الفرقة التاسعة من أصفهان الى طهران، وتأسيس خط دفاعي على بعد ٣٥ كم غربي طهران، بجوار كرج لمجابهة الطوارئ والدفاع عن طهران عند الضرورة^(٢٧).

شهدت منطقة أذربيجان الشمالية ومجلسها المحلي، تطورات مهمة، فقد عقد قادة الحزب الديمقراطي الأذربيجاني اجتماعات جماهيرية في تبريز، أكدوا فيها ضرورة الدفاع عن الحرية والوطن وبذل الغالي والنفيس من اجلهما، كما ورد في خطاب جعفر بشوري الذي أصبح رئيسا لحكومة أذربيجان ذات الحكم الذاتي التي تألفت في الثاني عشر من كانون الأول ١٩٤٥، إذ قال بهذا الصدد: "لا يوجد احد لم يتعاون معنا، ونحن قائمون بالتدابير الجدية لحفظ أنفسنا والاحتفاظ بالحرية التي نلناها، وسيقوم الفدائيون بالدفاع عن وطننا ضد الأعداء الذين سيهاجموننا بالطائرات والمدافع للقضاء على حقنا لقد أثبتنا للعالم إننا أصحاب حق ومسالمون واستطرد قائلا: إذا أردتم الحرية فيجب الموت، وسيكون هذا شعارنا ويجب تنظيم الجيش الوطني والحث على الجهاد"^(٢٨).

وبعد تشكيل حكومة أذربيجان الديمقراطية برئاسة جعفر بشوري، على إن يقدم أسماء حكومته الى المجلس، الذي انتخب الحاج ميرزا علي شبستري رئيسا له، وفي الجلسة المسائية قدم جعفر بشوري أسماء أعضاء حكومته للمجلس، وصادق المجلس الوطني الأذربيجاني على التشكيلة الوزارية وعلى منهاج الوزارة بالإجماع، وقد تضمن المنهاج (٩) مواد إصلاحية معتدلة هي:-

١. تعزيز الحكم الذاتي الأذربيجاني.
٢. انتخاب المجالس الإدارية للمدن.
٣. تحويل كتائب الفدائيين إلى جيش شعبي.
٤. تطهير جهاز الشرطة من العناصر الرجعية.
٥. جعل الأذرية لغة رسمية.
٦. نشر التعليم الإلزامي والمجاني وتأسيس الجامعات.
٧. تطوير الصناعة والتجارة ووضع قانون للعمل.
٨. تنظيم العلاقات بين الملاكين والفلاحين.
٩. توزيع أراضي الدولة وأراضي الإقطاعيين الذي انتقلوا إلى الخندق المعادي بين الفلاحين.
١٠. ضمان حرية الرأي والاعتقاد لجميع مواطني أذربيجان.

وأكدت حكومة جعفر بشوري في مناسبات مختلفة حقوق الأقليات في أذربيجان، وعلى العلاقات التاريخية والمصالح المشتركة بين الشعبين المتجاورين الأذربيجانيين والأكراد، ووضعت حكومة جعفر بشوري علم خاصا بها، كان يتألف من ثلاثة ألوان أفقيه (الأصفر - الأبيض - الأحمر) وتتوسط صورة هلالية مؤلفة من سنبله قمح وقلم يحيط بهما رباط مشدود^(٢٩).

ولكن بالرغم من كل ذلك، اغتنم قادة الحزب الديمقراطي الأذربيجاني وحكومة جعفر بشوري اية مناسبة لتأكد ان حركتهم ليست حركة انفصالية، وان مؤسساتهم لا تتعدى كونها حكومة ذات استقلال ذاتي ضمن الحدود السياسية لإيران، ومن هذا المنطلق أكد جعفر بشوري منذ البداية إن حكومته تقوم بتنفيذ كل ما يصدر من الحكومة الإيرانية في حالة عدم تعارضها مع أسس الحكم الذاتي لأذربيجان، وقد أكد بنفسه هذه الحقائق رئيس الوزراء الإيراني قوام السلطنة في موسكو عندما سافر إليها في ١٨ شباط ١٩٤٦^(٣٠)، الذي أبدى اعترافه بتلبية معظم مطالب الأذريين، وموافقته عليها، كما بين جعفر بشوري ذلك في احد خطبه، حتى انه لم يضع وزارتي الدفاع والخارجية ضمن تشكيلة الحكومة الأذربيجانية، وهذا دليلا قاطعا على تمسكهم بوحدة الأراضي الإيرانية، وأعلنوا استعدادهم الكامل لإرسال مندوبيهم للاشتراك في البرلمان في طهران، ولم يعترضوا على رفع الضرائب العادلة للحكومة المركزية، وكان جعفر بشوري لم يتردد في وصف

الحكومة المركزية في طهران بالخيانة أحيانا ، ولم يترددا أيضا مثل غيره في إدانة دكتاتورية رضا شاه چهار^(٣١).

وفي مقابل ذلك اتخذت الحكومة الإيرانية إجراءات مشددة للحيلولة دون وصول بعض المواد الضرورية المستوردة إلى أذربيجان ، واستغلت بالتعاون مع القوى اليمينية في داخل أذربيجان ، بخلق مشكلات اقتصادية بأساليب مختلفة، أثرت في وضع السوق، كما اتخذ فرع المصرف الشاهنشاهي الانكليزي في تبريز موقفا مشابها ، وقد أدى كل ذلك إلى ظهور مشكلات مالية وصعوبات اقتصادية كبيرة في الأيام الأولى من عهد الحكومة الجديدة، اعترف بها قادتها بصراحة ، ولمواجهة الوضع الاقتصادي الصعب لجأت حكومة أذربيجان إلى سلسلة من الإجراءات المهمة ، منها وضع قانون جديد لضريبة الدخل ، يقوم على أساس السلم التصاعدي في الجمع، وأعلنت تأمين البنوك ، ووضعت منهاجا لتوزيع الأراضي على الفلاحين ، وفيما يتعلق بالنقطة الأخيرة فقد تم توزيع حوالي (٢٦٠) ألف هكتار من الأراضي على حوالي (٢١٠) آلاف فلاح ، كما أصدرت وزارة التجارة الأذربيجانية أمرا منعت بموجب تصدير المواد الغذائية، مما أدى إلى هبوط أسعارها داخل أذربيجان نفسها إلى حد كبير، بحيث أصبحت كلفة العيش في تبريز ثاني كبرى مدن إيران تؤلف في المعدل نصف كلفتها في طهران^(٣٢).

وضعت حكومة جعفر بشوري الاهتمام بالثقافة والتعليم المقام الأولى في منهاجها الإصلاحية الطموح ، فقد أعلنت عن تأسيس جمعية أذربيجان الحكومية في تبريز وأسست (٣٢٥) مدرسة ابتدائية و(٨٢) مدرسة ثانوية جديدة، وباشرت بتشيد عدد كبير من البنائات لمدارس أخرى في مدن أذربيجان وقراها ، وطبعت الكتب المدرسية باللغة الانرية للصفوف السبعة الأولى للدارسين الابتدائية والمتوسطة ، وألفت فرقا خاصة لمكافحة الأمية في الريف وأسست مدرسة للفنون ومسرحا وفرقة موسيقية وأخرى للإنشاد، وافتتحت دورا للأيتام والعجزة ، أولت الحكومة في الوقت نفسه تنظيم المدن وفتح المعامل وامتصاص البطالة والعناية بالصحة العامة جانبا كبيرا من اهتمامهم، بالرغم من إمكاناتهم المتواضعة ، قاموا بتبليط الطرق الرئيسية داخل عاصمتهم تبريز وارسوا الطرق الأخرى داخل المدن وخارجها، كما افتتحو مستشفى جديد في تبريز وجعلوا العلاج مجانا في جميع مدن أذربيجان وقراها، ولا شك في ان هذه الإصلاحات هي التي دفعت كتابا غربيين إلى تأكيد إن ما تحقق على أيدي الديمقراطيين الأذربيجانيين من الانجاز في غضون عام واحد فقط يفوق، ما تحقق من الانجازات في غضون عشرين عام من حكم رضا شاه، عززت هذه الإصلاحات مواقع إقدام الديمقراطيين ، ورفعت من سمعتهم من جهة ، وأدخلت القلق في نفوس حكام إيران من جهة أخرى، ولم يقتصر مبعث القلق الأخيرين على ذلك، بل أنهم كانوا يخشون كثيرا من إن يتحول الأنموذج

الأذربيجاني الى عنصر تحريك جديد للقوميات غير الفارسية المستاءة من وضعها المزري وللأوساط الديمقراطية الفارسية نفسها، وقد زادت بعض تصريحات القادة الأذربيجانيين من قلقهم هذا، ففي احد خطب جعفر بشوري امام المجلس الوطني الأذربيجاني قائلا: "ومن اجل المحافظة على استقلال إيران يجب ان تعرف القوميات في إيران كافة، وإنما كانت تعيش على الأعمال التي يقوم بها الأذربيجانيين باعتبارها نموذجاً جديداً، إننا لا ندعو الشعب الإيراني للقيام بالثورة، وإنما إلى ممارسة الديمقراطية في أنحاء إيران كافة إننا كلنا ن فكر منذ البداية بوجود القيام بعمل من اجل الشعب الإيراني كله كلنا نسعى للقيام بحركة تحررية تكون بمثابة حياة او موت بالنسبة ألبنا، ولقد صرحنا في ذلك الوقت اجهار بأننا نسعى لتحقيق حرية إيران الكاملة، وان هذا السعي هو الذي دفعنا للقيام بنهضتنا في أذربيجان"^(٣٣).

وفي مناسبة أخرى، أعلن جعفر بشوري: "إننا نرى ان خلاص إيران وأذربيجان، إنما يتم تحت رأيه حزبنا وان تحقيق ذلك يتطلب ان نقوم بالتضحية بأموالنا وحياتنا وان نوادي يمين السير على درب النضال حتى النهاية"^(٣٤).

لم يكن بإمكان حكومة قوام السلطنة السكوت عما يجري من تطورات في أذربيجان، التي باتت تهدد السلطة المركزية في طهران في الصميم، فخشيت من امتداد آثارها إلى مناطق أخرى من البلاد من جهة، وخوفها من ان تنضم أذربيجان الى الاتحاد السوفيتي من جهة أخرى، فتخسر بذلك إيران واحدة من أهم مناطقها الاقتصادية الغنية بمواردها لاسيما النفط، سافر الوفد الإيراني إلى موسكو في عام ١٩٤٦ برئاسة قوام السلطنة، وتسربت بعض المعلومات عن سير هذه المفاوضات هناك والنجاحات التي حققها الوفد إلى حدوث اضطرابات في أذربيجان، بسبب تخوف حكومتها من ان تتوصل حكومة موسكو مع حكومة قوام السلطنة إلى اتفاق على حساب الأذربيجانيين، ومما زاد من قلق حكومة جعفر بشوري قرب جلاء القوات السوفيتية من أذربيجان، الأمر الذي كان يعني دخول القوات الإيرانية الى المنطقة وإلغاء حكمها الذاتي، وذلك أيضا بسبب قلة جيش الأذربيجانيين وضعف إمكاناته العسكرية، فان هذا الجيش لم يكن عاجزا عن مواجهة الجيش النظامي الإيراني فحسب، وإنما كان ضعيفا امام قوات القبائل والملاكين الذين كانوا ينتظرون بفرغ الصبر جلاء القوات السوفيتية عن أذربيجان، لكي يقوموا بالهجوم على الحكومة المحلية لأنها هددت مصالح الإقطاعيين، وهددت طبيعة العلاقة بين الإقطاعي والفلاح، وكما ان بعض المناطق في تبريز امتنعت عن إرسال أبنائها، للخدمة العسكرية في جيش أذربيجان، لكن مع ذلك حاولت حكومة أذربيجان التظاهر بالقوة، عندما نظمت في العشرين من شباط ١٩٤٦، مظاهرة عسكرية سارت في شوارع تبريز تتقدمها موسيقى الجيش، وضمت مجموعات من الفدائيين وهم يحملون أسلحتهم يتبعهم

طلبة المدارس الذين كانوا يحملون إعلاما مختلفة وينشدون أناشيد جديدة باللغة الأذرية، ويسير خلفهم رجال الحرف المختلفة حاملين لافتات مكتوب عليها (الموت لأعداء الحرية) و(الحياة الأذربيجان الديمقراطية)، وحمل العمال صورتين لرئيس الحكومة جعفر بشوري وزير المعارف، كما اشترك في المظاهرة عدد من النسوة، وتوقفت المظاهرة امام مقر رئيس الوزراء الذي خطب في المتظاهرين هو ووزير معارفه طالبوا منهم الاستبسال في الدفاع عن الوطن^(٣٥).

بعد الإعلان في السادس من نيسان ١٩٤٦ عن الاتفاق مع الاتحاد السوفيتي^(٣٦) بمدة وجيزة، اصدر قوام السلطنة بيانا أعلن فيه استعداد حكومته في إقرار عدد من الحقوق القومية للأذربيجانيين حصرها في سبع نقاط:-

١. انتخاب رؤساء الدوائر من قبل المجالس المحلية ليتم تعيينهم من الحكومة المركزية.

٢. جعل المراسلات الرسمية باللغتين الفارسية والأذرية.

٣. جعل لغة التعلم للصفوف الخمسة الأولى في المدارس الابتدائية اللغة الأذرية.

٤. الاهتمام بالأوضاع العمرانية والصحية والثقافية في أذربيجان.

٥. الاعتراف بالحريات الديمقراطية والثقافية هناك.

٦. إصدار العفو بحق سكان أذربيجان وموظفي الحكومة الأذربيجانية لاشتراكهم في النهضة الديمقراطية هناك.

٧. رفع عدد النواب الأذربيجانيين في المجلس الإيراني بما يتناسب وحجم سكان المنطقة^(٣٧). وبذلك فتح باب المفاوضات بين الطرفين، ففي أيار عام ١٩٤٦، جاء وفدا برئاسة جعفر بشوري الى طهران، واستمرت المفاوضات بين الطرفين دون إن تسفر عن نتيجة تذكر، وذلك بسبب تمسك قوام السلطنة بنقاط السبع، واصدر جعفر بشوري على ضرورة الحفاظ على المكتسبات التي تحققت للأذربيجانيين، فعاد الوفد الى تبريز بعد ان مضى ايام في طهران وخطب جعفر بشوري في اجتماع جماهيري قائلا: "يجب ان يعلم الجميع اننا لم ننتظر من طهران ان تمنحنا شيئا فقد حصلنا على مطالبنا بأيدينا، ومن المهم الحفاظ على ما تحقق لنا من حرية، وان نسعى من اجل نشرها في جميع أنحاء إيران"^(٣٨).

وأكد جعفر بشوري قائلا: "إن حكومة طهران تريد ان نكون تحت مراقبتها بلا قيد أو شرط، وكانّ النقاط السبع آيات منزلات، وكلما حاولنا زحزحتها عنا يكون جوابها

إن ذلك مغاير للقانون الأساسي (الدستور) متناسين كيف عبث رضا شاه بالدستور عندما كان شاه لإيران" (٣٩).

كما بدأ وصف حكومة قوام السلطنة، بأنها حكومة واقعة تحت سيطرة العناصر الإقطاعية والرجعية، ووصف تنازل الأذربيجانيين عن حقوقهم الطبيعية بأنه: "حد فاصل بين الموت والحياة، مؤكداً إن الديمقراطية ليست مطلباً أذربيجانياً فحسب، بل هي قضية إيران كلها، لذا فإن الرجعية الإيرانية يجب أن تتحطم على أيدي الشعب الأذربيجاني، بل إن حرية أذربيجان هي ضمانة لتحرير إيران" (٤٠).

أدركت الحكومة الأذربيجانية برئاسة جعفر بشوري أن هناك اتفاق ضدهم يجري في الخفاء، يقوم بها أحد أعدائهم وهو قوام السلطنة، وبدأ يحسبون لهذا الأمر حسابه، عندما أخذ السوفييت بالتوقف عن تمديد عقد إيجارات بعض الدور التي يشغلونها بالرغم من انتهاء أجلها، وتخلى بعض الدور الأخرى، ومع ذلك فإن حكومة أذربيجان لم تتوقف عن ممارسة أعمالها في الإقليم، وأصدرها للقوانين التي من شأنها أن تعزز دورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي بين الأذربيجانيين، فقد صادق المجلس المحلي على قوانين الأراضي الأميرية التي تضمن: "إن جميع الأراضي الأميرية التي انتقلت بالوقت الحاضر لأحد الأشخاص بالإرث أو بالشراء أو بالاستبدال وكذلك القوات والمجاري خلال مدة حكم رضا شاه في الأول من آذار ١٩٢٤ سوف تقسم بين سكان تلك الأراضي، إما المراعي فسيكون الإفادة منها مباحاً لجميع سكان تلك المنطقة، إما تلك الأراضي التي أصبحت أميرية بصورة الضبط، أو بشرائها بثمن بخس من قبل حكومة بهلوي فلما لكيها الأصليين إن يراجعوا للحكومة المحلية إما لرد تلك الأملاك أو لدفع الفرق الناتج عن شرائها بثمن بخس"، وصادق المجلس المحلي على قانون المصادرة، الذي منح الحكومة (حق مصادر الأموال المنقولة أو غير المنقولة العادة لأولئك الأشخاص الأذربيجانيين، الذين هربوا من أذربيجان وأخذوا يقومون ببث الدعايات ضد الحكومة المحلية سواء في طهران أو في غيرها)، وتضمن القانون أيضاً مصادرة الأموال المنقولة العائدة للأشخاص الأذربيجانيين وحتى الأجانب الساكنين خارج أذربيجان، والذين يقومون ببث الدعايات المذكورة أيضاً، وأعطى القانون للأشخاص الذين تصادروا أموالهم وأملكهم الحق بمراجعة المحاكم المدنية بأنفسهم أو بواسطة وكلائهم خلال مدة شهر واحد من ظروف قرار المصادرة، ونص القانون على "الأموال والأملاك تصادروا لفائدة الخزينة، إما الأراضي الزراعية فتقسم بين الفلاحين" (٤١).

كان حلول يوم الثاني من أيار ١٩٤٩، طويلاً وثقيل الوطأة على الحزب الديمقراطي الأذربيجاني، وأعضاء حكومة جعفر بشوري، إذ إن هذا اليوم يمثل بالنسبة لهم موعد انسحاب القوات الأجنبية من الأراضي الإيرانية بحسب المعاهدة ١٩٤٢ الثلاثية (٤٢)

الموقعة بين بريطانيا والاتحاد السوفيتي وإيران ، إلا إن عدم جلاء القوات السوفيتية في إيران دفع الحكومة الأذربيجانية إلى الترحيب بذلك، لاسيما إن هذه الحكومة لم تكن على علم بقرار السلطات السوفيتية بالبقاء قواتها بعد الأجل المحدد، كانت هناك عوامل عدة تدفع الاتحاد السوفيتي للبقاء في إيران أطول مدة ممكنة، فقد أسهمت السلطات السوفيتية في تأسيس ودعم عدد من الأحزاب والمنظمات داخل إيران لاسيما (حزب توده) والمنظمات المرتبطة به، لذلك فإن انسحاب السوفييت من الأراضي الإيرانية، سيؤدي إلى تراجع الدور السياسي والاقتصادي والاجتماعي لهذا الأحزاب والجمعيات، وفقدانها لعنصر دعمها الأساس، المتمثل بالاتحاد السوفيتي، كما إن أذربيجان تمثل بالنسبة للسوفييت منطقة مجاورة، وإنها من أجل ذلك تعدها من المناطق التي يمكن من خلال ضمان حماية حدودها، لاسيما مناطقها الجنوبية، فضلا عن ذلك فإن العنصر الأذربيجاني الموجود في الاتحاد السوفيتي واللغة الأذربيجانية المشتركة مع أذربيجان السوفيتية تشجعها للقيام بحركة فصل أذربيجان الإيرانية ودمجها بأذربيجان السوفيتية، وكذلك أدى وجود الثروة المعدنية في التربة الأذربيجانية، لاسيما النفط الى دفع السوفييت للتمسك بها، ومحاولة عدم الانسحاب منها^(٤٣).

لكن مع طموحات السوفييت في الحصول على النفط الإيراني، كان هو الأقوى من بين تلك العوامل التي جعلتهم يتفقون مع الحكومة الإيرانية برئاسة قوام السلطنة ، والذي استطاع بخبرته السياسية ، استغلال الحاجة السوفيتية للنفط، فبدأ يغري السوفييت على نحو فريد لا يصدر الأ من رجل يجيد الأعب السياسية ومناوراتها ، لذلك لعب لعبة(شد الحبل) بينه وبين السوفييت، اللعبة التي أجاد فيها قوام السلطنة وحقق أهدافه كاملة في ظل أخرج مرحلة تاريخية ، كانت تمر بها إيران من دون ان تقدم تضحيات للسوفييت، لاسيما في المسألة النفطية، كما كانوا يتوقعون، ويعقدون الأمال على ذلك، فخرج قوام السلطنة من الظرف ، وقد حقق لبلاده ما كانت تصبوا اليه في الوقت الذي لم يحصل السوفييت سوى على وعود لم تر النور، لذلك اجبر قوام السلطنة السوفييت من أجل سلاح النفط وعلى تصديق اتفاقيتهم وعلى إجراء انتخابات جديدة للبرلمان الإيراني من أجل التصديق على الاتفاقية، إلا إن وجود حكومة أذربيجان كان يمثل عائقا امام تصديق الاتفاقية، فأصبح السوفييت والحال هذا امام خيارين مختلفين، هما اما الموافقة على مجيء برلمان جديد لكي يصادق على اتفاقيتهم النفطية او القبول بحكومة أذربيجانية مدعومة من السوفييت، وموعدا غير محدد ومؤجل الى حين المصادقة على الاتفاقية، وهكذا ضمن السوفييت اقرب الخيار هو الانسحاب من الأراضي الإيرانية ، وترك حكومة أذربيجان تواجه مصيرها لوحدها بعد تخلي السوفييت عنها وتفضيلهم لمصالحهم، كما أدت الضغوطات البريطانية والأمريكية دورا مهما في دفع السوفييت للقبول بهذا

الخيار، الأمر الذي جلب انتقادات صحيفة سوفيتية واسعة لدور السفير الأمريكي في إيران (جورج الن Georye Alan) واتهامه بالتدخل في الشؤون الداخلية لإيران ، عن طريق دعمه للعناصر الرجعية هناك، وسعيه لإقامة أسس قوية لبلاده في الشرق الأوسط^(٤٤).

وعندما ضمن قوام السلطنة انسحاب السوفييت من الأراضي الإيرانية، وتوصله الى اتفاق معهم على جلاء القوات السوفيتية في السادس من أيار ١٩٤٦، بدأ الفصل الجديد في مخططه الرامي للقضاء على حكومة أذربيجان ،حتى انه تمكن من كسب عدد غير قليل من الديمقراطيين بمن منهم من كانوا وزراء في حكومة جعفر بشوري ، ممن لم يترددوا في التعاون معه فيما بعد، وهكذا وبعد انقطاع كل السبل التي استخدمها قوام السلطنة في مفاوضاته مع الحكومة الأذربيجانية برئاسة جعفر بشوري، وعدم اعتراف حكومة جعفر بشوري بالنقاط السبع ، التي أعلنتها قوام السلطنة من اجل البدء بالمفاوضات، وبسبب هذا الفشل في المفاوضات، وهكذا بات هجوم القوات الإيرانية على أذربيجان متوقعا بأية لحظة، واتخذ الأذربيجانيين استعدادهم لمثل هذه اللحظة، عندما أعاد تشكيل كتاب الفدائيين على جناح السرعة، وباشروا تدريباتهم اليومية من اجل المواجهة التي باتت قريبة، وبالفعل باشر قوام السلطنة في عملية في القضاء على حكومة أذربيجان في العاشر من كانون الأول ١٩٤٦، وزحفت الفرقتان الثالثة على تبريز والرابعة على منطقة رضائية والمنطقة الكردية، والفرقة الثانية عشر على اردبيل لينسحب امامها آلاف الديمقراطيين الأذربيجانيين إلى داخل الأراضي السوفيتية دون مقاومة تذكر، الأمر الذي سهل مهمة القوات الحكومية للسيطرة على المنطقة في غضون أيام قليلة ، ليستقبلها أهالي تبريز الذين بقوا بها بالورود والتحية، ولم يبق امام جعفر بشوري سوى ترك أذربيجان والهروب الى الاتحاد السوفيتي، بعد اعتقال القوات الحكومية عددا من القادة ومن ضمنهم حاكم أذربيجان ، فأصبحت أذربيجان تحت السيطرة الحكومية الإيرانية، وفقدت حكمها الديمقراطي، الذي بنته بتضحيات أبنائها والتي تولى عنها السوفييت مفضلين مصالحهم على كل المبادئ التي نادوا بها طويلا^(٤٥).

الخاتمة:

إن الحركات القومية التي ظهرت في إيران خلال سنوات الحرب العالمية الثانية وبعدها، كانت نتاجا طبيعيا لما شهد البلاد من تطورات سياسية ومتغيرات على الساحة الإيرانية، وخاصة بعد سقوط رضا شاه عن العرش ومجيء ابنه محمد رضا شاه وتولية الحكم في إيران بمساعدة الدول الكبرى أو الدول التي حققت انتصار في الحرب الكونية. لم تقتصر المعارضة الإيرانية على اتجاه واحد أو تيار سياسي وإنما كانت تمثل تيارات متعددة وموزعة على مناطق إيران برمتها، وتمثلت أطروحاتها بإيقاف التغلغل الأجنبي في شؤون البلاد، وضرورة الدفاع عن سيادة إيران، وتبني برنامج للإصلاح الداخلي ومن هذه الحركات القومية هي الحركة الأذربيجانية التي قادها جعفر بشوري والتي لم تستطيع ان تحقق لها النصر على ما كانت تنادى به، فكانت شخصية جعفر بشوري الذي ولد في تبريز هي التي عبرت عن مبادئها في إقامة نظام فيدرالي في إيران باعتبار ان الأذربيجانيين هم اكثر القوميات التي كانت تعاني من الظلم والقسوة من قبل السياسة التعسفية لرضا شاه بهلوي، لذلك انتفض جعفر بشوري معبرا عن قوميته مدافعا عن حقوق الشعب الأذربيجاني ، وخصوصا أنها تمتلك اكبر مورد اقتصادي في إيران وهو (النفط) بالرغم من انه اعتمد على الدعم السوفيتي له، لكنه لم يحسب إن الدول القوية كانت تفضل مصالحها على مصالح الشعوب الضعيفة ، لذلك سقطت حكومة جعفر بيشوري بالتعاون مع الاتحاد السوفيتي وحكومة إيران بقيادة قوام السلطنة وبذلك انتهت المسيرة النضالية لجعفر بيشوري في إقامة حكم فيدرالي لمنطقة أذربيجان.

الهوامش

- ١-ريتشارد دبليو كوتام، القومية في إيران، مطبعة جامعة بينسبرج ،بنسلفانيا ١٩٧٨، ص ١٨١.
- ٢-المصدر نفسه، ص ١٨٢.
- ٣-المصدر نفسه، ص ١٨٣.
- ٤- المصدر نفسه، ص ٢٠٠.
- ٥-ثورة أكتوبر: هي الثورة التي قامت في روسيا القيصرية واستطاعت القضاء على القيصرية الروسية وأقامت الحكومة الشيوعية وأعلنت عن تخليها عن أية أطماع أو امتيازات في الدول الآسيوية وأعلنوا عن تخليهم ما حصل عليه القياصرة من مناطق نفوذ في العالم بما فيها منطقة الخليج العربي، كما وجهت الثورة نداءات إلى العرب والإيرانيين والهنود ودعمهم لمقاومة بريطانيا .
- المؤتمر الأول لشعوب الشرق المنعقد في باكو في الفترة (١-٨ ايلول ١٩٢١) ، ترجمة فواز طرابلس، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٢، ص ص ١١-١٣.
- ٦- ريتشارد دبليو كوتام، المصدر السابق، ص ٨٢.
- ٧-حسين عبد زاير الجوراني، حركات المعارضة في إيران(١٩٠٤-١٩٢٥) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٩، ص ١٩٦.
- ٨-محمد خياباني:- ولد في عام ١٨٨٠ في تبريز وهو من اسرة تعمل في التجارة بعد إكمال دراسته المتوسطة سافر الى مدينة بتروفسكي (محاج معة) عاصمة داغستان وعمل بالتجارة وواصل دراسته في الفقه والعلوم الصرفة والرياضيات والفلك، المصدر نفسه، ص ١٩٦.
- ٩-ريتشارد دبليو كوتام، المصدر السابق، ص ٨٥.
- ١٠-معاهده ١٩١٩:- وفقا للاتفاقية الانجلو فارسية، حصلت بريطانيا على الحق المنفرد لتقديم القروض والأسلحة والمستشارين والمدربين العسكريين ومسؤولي الجمارك وحتى المعلمين لإيران، واوصد باب دار الفنون إمام الفرنسيين على أرضية إن القانون والسياسية سرعان ما يؤديان إلى التدخل في العلاقات الدولية وفي المقابل كان على بريطانيا إن تقدم لإيران قرضا تبلغ قيمته مليوني جنية إسترليني .اروندا ابراهيميان، تاريخ إيران الحديثة، ترجمة: مجدي صبحي، الكويت، ٢٠١٤، ص ٩١.
- ١١-اروندا ابراهيميان، إيران بين ثورتين، الجزء الاول، مركز البحوث والمعلومات، بغداد، ١٩٨٣، ص ١٦٣.
- ١٢-حسين عبد زاير الجوراني، المصدر السابق، ص ٢٠٥.
- ١٣-حازم عبد الغفور خماس الدليمي، سقوط النظام الملكي في إيران وأثره على الأمن القومي العربي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥، ص ١٠-١١.
- ١٤-وفاء عبد المهدي راشد الشمري، التطورات السياسية الداخلية في إيران ١٩٦٤-١٩٧٩، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦، ص ١٤.
- ١٥-محمد احمد طه علي الجبوري، تاريخ الحزب الشيوعي الإيراني(تودة) ١٩٤١-١٩٦٣، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٠.
- ١٦-ادوار سابلية، إيران مستودع البارود، ترجمة : عز الدين محمود السراج، بغداد، ١٩٨٣، ص ٢٢٩.
- ١٧-ظاهر خلف البكاء، التطورات الداخلية في إيران ١٩٤١-١٩٥١، الطبعة الأولى، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٩٣.
- ١٨-وفاء عبد المهدي راشد الشمري، المصدر السابق، ص ١٤.
- ١٩-كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٢٠.

- ٢٠- هند طاهر خلف البكاء، العلاقات الإيرانية- السوفيتية، ١٩٤١-١٩٥١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤، ص ٧٢.
- ٢١- طاهر خلف البكاء، تطورات الأحداث في أذربيجان إيران (١٩٤١-١٩٤٦)، مجلة كلية المعلمين، العدد الثالث والعشرين، السنة ٢٠٠٠، ص ٢٥.
- ٢٢- طاهر خلف البكاء، التطورات الداخلية في إيران،...، ص ١٠٦.
- ٢٣- ستار خان، من أسرة متواضعة تعمل في الزراعة وتربية الخيول والاتجار بها، حظي باحترام وتقدير الفقراء، من تبريز وهو من (لوتي) المدنية، وكان عضواً في انجمن تبريز وشكل خطراً على النظام القاجاري، حتى إن الشاه خصص مبلغاً ضخماً لمن يأتي رأسه. طلال مجذوب، إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية، ١٩٠٥-١٩٧٩، القاهرة، ١٩٨١، ص ٣٨-٤٠.
- ٢٤- باقر خان: من عائلة فقيرة في تبريز كان والده يعمل في البناء وكذلك هو اتصف بالصفات الحميدة وأحبه الناس ليكون مختاراً محلة المشرعة حسين عبد زبير الجوراني، المصدر السابق، ص ٩٤.
- ٢٥- كتائب الملبس الأذربيجانية:- كانت هذه الكتائب تتألف من بعض الأتراك والأرمن والكلدانيين والأكراد القاطنين في أذربيجان الجنوبية وكانوا خاضعين للحكم السوفييتي. هند طاهر خلف البكاء، المصدر السابق، ص ٧٥.
- ٢٦- امل عباس جبر البحراني، الأذربيجانيون ودورهم السياسي في إيران ١٩٠٥-١٩٤٦، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية التربية - قسم التاريخ - الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٩٧، ص ٨٧.
- ٢٧- المصدر نفسه، ص ٩٠.
- ٢٨- طاهر خلف البكاء، تطورات الأحداث في أذربيجان...، ص ٢٥٠.
- ٢٩- كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص ٢٢١-٢٢٢.
- ٣٠- قوام السلطنة:- هو قوام السلطنة ولد في طهران ١٨٧٧ من عائلة ثرية تملك أراضي واسعة ذات نفوذ سياسي كبير، أرسل إلى باريس للدراسة في العلوم السياسية وأصبح وزيراً في عدة وزارات. وداد جابر غازي الحياة البرلمانية في إيران ١٩٤١-١٩٧٩، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠، ص ٦٠.
- ٣١- طاهر خلف البكاء، التطورات الداخلية في إيران...، ص ١٧٤.
- ٣٢- كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص ٢٢٢.
- ٣٣- مقتبس في طاهر البكاء، التطورات الداخلية في إيران...، ص ١٧٨.
- ٣٤- مقتبس من المصدر نفسه، ص ١٧٨.
- ٣٥- هند طاهر خلف البكاء، المصدر السابق، ص ٧٨.
- ٣٦- الاتفاق: هو الذي حصل بين السوفييت وحكومة قوام السلطنة في عام ١٩٤٦ وجرى الاتفاق في موسكو وقدم الاتحاد السوفييتي مطالبه لقوام السلطنة، وتضمنت الاعتراف باستقلال أذربيجان ودعوة الحكومة الإيرانية لنظيرتها السوفيتية لإبقاء قواتها في إيران ومنحها امتيازات نفطية واسعة وعقد معاهدة تحالف جديدة مع السوفييت طويلة الأمد. المصدر نفسه، ص ٨٥.
- ٣٧- طاهر خلف البكاء، تطور الأحداث في أذربيجان...، ص ٢٠٠.
- ٣٨- مقتبس في طاهر خلف البكاء، التطورات الداخلية في إيران...، ص ٢٠١.
- ٣٩- مقتبس في المصدر نفسه، ص ٢٠١.
- ٤٠- مقتبس في المصدر نفسه، ص ٢٠١.
- ٤١- هند طاهر خلف البكاء، المصدر السابق، ص ٨١.
- ٤٢- المعاهد الثلاثية: هي المعاهدة التي عقدت عام ١٩٤٢، بين بريطانيا والسوفييت والحكومة الإيرانية وتضمنت المعاهدة (٩) مواد وثلاثة ملاحق وهي التعاون المطلق مع كافة قوات الحلفاء

والمشاركة العسكرية وخوض غمار المعارك الحربية إذا نشبت في إيران. رجاء حسين الخطاب محاضرات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٦-١٩٨٧، ص١١٧.

٤٣- هند طاهر خلف البكاء، المصدر السابق، ص٨٥.

٤٤- المصدر نفسه، ص٨٦.

٤٥- طاهر خلف البكاء، التطورات الداخلية في إيران...، ص٢٠٦.

المصادر:

- اولا- الكتب العربية :
- رجاء حسين الخطاب محاضرات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٦-١٩٨٧ .
 - طاهر خلف البكاء، التطورات الداخلية في ايران ١٩٤١-١٩٥١، الطبعة الأولى، بغداد، ٢٠٠٢ .
 - طلال مجذوب، ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية، ١٩٥٥-١٩٧٩، القاهرة، ١٩٨١ .
 - كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨٥ .
 - ثانيا-الكتب المعربة:
 - اروندا ابراهيميان، ايران بين ثورتين، الجزء الاول، مركز البحوث والمعلومات، بغداد، ١٩٨٣ .
 - اروندا ابراهيميان، تاريخ ايران الحديثة، ترجمة: مجدي صبحي، الكويت، ٢٠١٤ .
 - ادوار سابلية، ايران مستودع البارود، ترجمة : عز الدين محمود السراج، بغداد، ١٩٨٣ .
 - ريتشارد دلبيو كوتام، القومية في ايران، مطبعة جامعة بينسبرج ، ١٩٧٨ .
 - ثالثا-الاطاريح والرسائل الجامعية :
 - حازم عبد الغفور خماس الدليمي، سقوط النظام الملكي في ايران وأثره على الأمن القومي العربي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥ .
 - حسين عبد زاير الجوراني، حركات المعارضة في ايران(١٩٠٤-١٩٢٥) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٩ .
 - محمد احمد طه علي الجبوري، تاريخ الحزب الشيوعي الإيراني(توده) ١٩٤١-١٩٦٣، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية، بغداد، ١٩٨٨ .
 - هند طاهر خلف البكاء، العلاقات الإيرانية- السوفيتية، ١٩٤١-١٩٥١، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٤ .
 - وداد جابر غازي الحياة البرلمانية في ايران ١٩٤١-١٩٧٩، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٠ .
 - وفاء عبد المهدي راشد الشمري، التطورات السياسية الداخلية في ايران ١٩٦٤-١٩٧٩، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٦ .
- رابعا - المجلات :
- طاهر خلف البكاء، تطورات الأحداث في أذربيجان إيران (١٩٤١-١٩٤٦)، مجلة كلية المعلمين، العدد الثالث والعشرين، السنة ٢٠٠٠، ص٢٥ .